الفصل العشرون

ذكر قاضى مصر وحكم حكومته وعوائد الفوائد وجميع محاكمه والقضاة فى أقاليم مصر

عندما فتح السلطان سليم الأول مصر كان كمال باشا أحمد افندى يشغل منصب قاضى عسكر الروملى، فأنعم عليه بمولوية[1] مصر، وأمر بأن تكون إمارة مصر للغزالى جان بردى وكمال باشا زاده وأصدر بذلك مرسومًا، وجاء فيه أن قاضى مصر يتقاضى مائتى كيس عدلاً وإنصافًا. وكان يكفيه مائة من الخدم. وتولى مهام الحكم.

وكان فى الديوان أربعة فقهاء للمذاهب الأربعة، وكان لهم مسجلون ومقيدون وشهود ومحضرون، كما كان لهم مائة من الخدام وكانت إحدى فرق الانكشارية مع الجورباجية يعينون للقيام بتنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية، وهذه الفرقة من الانكشارية تسمى (الملازم)، وكانوا جميعًا يلبسون قباء وقلنسوة مزركشة.

وكان هناك رئيس المترجمين وأمين السجلات. وهناك قبة أخرى من الحجر تراكمت تحتها السجلات الشرعية منذ عهد الخليفة عمر ـ رضى الله عنه ـ، وأصبحت وكأنها الجبال، وهذه السجلات تحت تصرف أمين السجلات ومعهم كتخدا الذى كان يد الرشوة.

كما كان يوجد نائب الإدارة ونائب المدينة. وكذلك رجل محنك من رؤساء بوابى الباب العالى يشغل منصب رئيس المحضرين وتحت رياسته ثلاثمائة محضر، ويتقاضى فى العام خمسة أكياس. وفى حالة انعقاد الديوان السلطانى خمسة أيام فى الأسبوع يرتدى هذا المحضر الرئيس قلنسوة مزركشة، ويرتدى الكتخدا افندى على رأسه قلنسوة البريشان وأمامهم المحضرون وجميعهم من حملة العصى. ويمر الانكشارية مثنى مثنى وعلى رءوسهم القلانس المزركشة. ويمر القاضى وعلى رأسه كذلك العمامة التى تعرف (بالعُرفى) وعلى جانبيه خدم الانكشارية والذى يعرف الواحد منهم بأسم المسئول عن التسوق، وعشرون أو ثلاثون من صرّاجى المشاة، وأحيانًا يمرون ومعهم أكياس الديوان الحمر. وعلى هذا النظام يصلون إلى الديوان وعلى هذا النسق ينتفى عن

(١) مولوية: واحدة من الرتب الخاصة بالعلماء.

القاضى اختصاصه بإقليم دون الآخر ـ ويطلقون على القاضى فى مصر لقب قاضى عسكر افندى، لأن فى بداية فتح مصر كان كمال باشا زاده يشغل منصب قاضى العسكر، ولذلك فمنذ ذلك الوقت يسمون القاضى قاضى العسكر، وهو يقيم فى قصر شامخ وهو القصر الذى أقامه السلطان معز الدين القاهر المغربى الفاطمى قديمًا. وفى ديوان القاضى يوجد قسَّام عسكر القاضى وهو معين من قبل قاضى عسكر الأناضول فى الأستانة وتحرر جميع تركات جنده بإذن منه. ويأخذ منها ( )[1] ويسجل الباشا هذه التركات. ويحضر إلى جانب الباشا فى ديوان مصر على الدوام نائب القاضى وشهوده ومحضروه فى كل يوم وليلة لربما ظهر شىء بعد العشاء يكون الحكم فيه للشريعة ولذلك يحضر نائب الديوان.

وللقاضى فى مصر أربع وعشرون محكمة، فى كل واحدة منها نائب للترك وقضاة المذاهب الأربعة، وهذه المحاكم هى: محكمة باب النصر، ومحكمة باب الخرق[2]، ومحكمة المشهد الحسينى، ومحكمة باب ( )[3]، والمحكمة القيسونية ومحكمة ميدان الروملى الجديدة، والمحكمة الطولونية ومحكمة باب الشعرية، ومحكمة درب الجماميز، ومحكمة سويقة الدلالين القديمة، ومحكمة باب الحديد ومحكمة مصر العتيقة، ومحكمة جامع الصالحية ومحكمة باب الحديد، ومحكمة خارج السور، ومحكمة بولاق، ومحكمة قضاء شرق اتفيه وجملة القول إنها أربع وعشرون محكمة وتصل محصولاتها إلى الموظفين أسبوعًا بأسبوع.

وهناك نائب آخر يتجول مع المحتسب فى الأسواق. إلا أنه تحت الرقابة. وهم لا يستطيعون تطبيق التسعيرة السلطانية؛ لأنهم جميعًا تحت الحماية وفى أقاليم مصر يوجد كذلك نواب النواحى ويوجد نيابات مثل بلدة شبرا والبساتين وقايتباى.

ذكر الأقضية التابعة للقاضى فى مصر

أولاً قضاء الغربية: أى المحكمة العليا وهى أولى المحاكم الست. وتحصل هذه المحكمة على أربعين كيسًا فى العام، وهو قضاء معمور وأكثر من مرة تأتيهم منحة من

---

(١) بياض فى الأصل.

(٢) وهى ما يعرف الآن باسم باب الخلق. (٣) بياض فى الأصل.

المولوية قدرها خمسمائة أقجه.

وبعد ذلك قضاء دمياط ويحصِّل ثلاثين كيسًا. ثم قضاء مزاحمتين.

ثم قضاء رشيد ويحصِّل ثلاثين كيسًا، وهو قضاء شريف.

وبعدها قضاء الإسكندرية: ولها أربعون كيسًا.

ثم قضاء المنصورة ولها عشرون أو ثلاثون كيسًا.

ثم قضاء منية التين: ولها كذلك خمسة وعشرون كيسًا.

وهذه الأقضية تسمى الستة الأول وهى أعلى من غيرها، ثم يليها:

قضاء المنوفية، ثم قضاء البحرية، فقضاء البرلس، وبعدها قضاء فُوّة، وبعدها قضاء سنديون، ثم قضاء محلة أبى على، ثم قضاء ابيار، ثم قضاء النهارية، ثم قضاء محلة المرحوم، وقضاء بلبيس، وقضاء ميت غمر، ثم قضاء زفته، وقضاء الشرقية، وقضاء الشيخ سلمون، وقضاء الخانكة، وقضاء الجيزة التى تولى القضاء فيها شيخ الإسلام بُولَوى مصطفى افندى، وقضاء الفيوم، وقضاء بنى سيف، وقضاء تزمين، وقضاء بهنسا، وقضاء فيشنا، وقضاء ملوى، وقضاء منفلوط، وقضاء أسيوط، وقضاء أبى تيج، وقضاء تحته، وقضاء أقطعه، وقضاء أشمونين، وقضاء صنبوط التى كان يرأس القضاء فيها شيوخ الساداتية، وقضاء الجزيرة، وقضاء سوهاج، وقضاء المنشية، وقضاء الواحات، وقضاء جرجا، وقضاء فرشوط، وقضاء شرق بويت، وقضاء إسنا. ولا وجود لأقضية أخرى على الجانب الغربى للنيل وكلها قرى الأقاليم، وهى تمتد إلى بلاد السودان.

وعلى الجانب الشرقى للنيل أقضية أُسمَانى صاى وتقع على حدود مصر، وقضاء إبريم، وقضاء أسوان، وقضاء قوص، وقضاء قنا، وقضاء فو، وقضاء شرق اخميم، وقضاء السويس.

وبذا يكون عدد الأقضية فى أقاليم مصر ستة وسبعين قضاء. وثمة بضعة أقضية، إلا أنهم ليسوا بالمشاهير ويسمونهم «المضافات» وهؤلاء القضاة جميعًا يعينهم قاضى عسكر الأناضول من قبل السلطان فى الأستانة، وقضاة إدارات مصر قضاة آخرون، وليس

لأقضية الأناضول سيطرة عليهم. إلا أن قضاة مصر ممن تولوا القضاء فى المحاكم الست العليا مثل الغربية ودمياط ورشيد واسكندرية والمنصورة يمنحون منصب المولوية فى الأناضول والروملى وذلك بناء على قانون السلطان سليم. وتنتهى مناصبهم فى مصر إلا أنهم شبكة عظيمة. وفى قانون مصر القديم كان يوجد شيوخ للإسلام على المذاهب الأربعة. وفى زماننا بما أن بولوى مصطفى افندى لم يصدر الفتوى بقتل قائد جزيرة كريت غازى دلى حسين باشا ويقدمها إلى كوبرلى محمد باشا نفى إلى مصر فمنح قضاء الجيزة على أن ذلك معاش يتقاضاه، وكان شيخ الإسلام الحنفى. ولكن لم يكن أحد فى حاجة إلى فتواه، لأن أصحاب الحاجة كانوا يمضون إلى الأزهر. وإذا ما أعطى أحد العلماء «منقرين» أو ثلاثة استصدر منه الفتوى حسبما يريد، ثم يأتى خصمه ويستصدر هو الآخر لنفسه فتوى بقول ضعيف ويكون الحكم لإثنين، ثم يتم الصلح والصلح سيد الأحكام ولا يحكم بأن الحق لأحد الطرفين، ويضطر الطرفان إلى الصلح.

وخلاصة القول أن فى مصر إحقاق الحق ليس له من وجود، لأن أحد الطرفين يلح طويلاً أو يكون محميًا فيكون الحكم له بغير حق وفى مصر علماء لهم عشرون ألف فتوى، وفيها كثير من المسائل والمشاكل.

ومن فى حاجة لمعرفة مصر وهى من البلاد العجيبة والغريبة فليرجع إلى علماء مصر وفضلائها الذين يعرفون شتى العجائب والغرائب. وحكماؤها منقطعو النظير وهم أذكياء ألباء بطبعهم. وصبيانهم لهم فكر وقاد، ومنهم سبع وخمسون ألفًا يحفظون القرآن الكريم وجميعهم يتلون القرآن الكريم فى الحوانيت وعلى مفترق الطرق وعلى أبواب معظم الحمامات وميدان الروملى. ومنهم عميان يحفظون القرآن الكريم وكلهم مائة وأربعة وسبعون ألفًا من العلماء والقضاة والمعلمين.

وعلم التفسير والحديث خاص بمصر، وفيها أكثر من عشرة آلاف إمام وخطيب وعشرة آلاف من كبار المشايخ. وفى أروقة الجامع الأزهر اثنا عشر ألفًا من كبار العلماء.

ذكر ما يدرس فى مدينة مصر من علوم

جاء فى الحديث الشريف أن: «العلم علمان الأول علم الأبدان والثانى علم الأديان» فالعلوم هى علم الطب وعلم الفرائض وعلم التفسير، وعلم الفقه، وعلم الحديث، وعلم التفسير، وعلم التجويد، وعلم التوحيد، والعلم اللدنى، وعلم البيان، وعلم الكلام، وعلم الكمال، وعلم الصرف، وعلم النحو، وعلم المنطق واللغة، والعروض، والخط، والنجوم، والجفر، والكاف، والكف، وعلم القاف، وعلم السيما والكيمياء، والهيئة، والحكمة، والزيج، وعلم دانيال، وعلم الفول والفال، وجر الأثقال، وعلم الرمل، والوفق، وعلم الأسماء، وعلم التسخير، والدعوة، والفلسفة، وعلم الأدوار، وعلم الزيرجه، وعلم الاصطرلاب، وعلم الحروف، والنارنجات، وعلم طى المكان، وعلم الإخفاء، وعلم التعبير، وعلم الفراسة، ولكن لا وجود لعلم الأدب.

بيان توزيع الخزائن السابق ذكرها التى تصرف على جميع جنود مصر وغيرهم من العلماء والدعاة الصالحين، وكذا خزائن مصر الأخرى التى تبذل على غير ذلك من المصروفات، وجميع الإيرادات التى يجمعها الكتخدا إبراهيم باشا للخزينة بموجب الخط الشريف، وصورة الدفتر الهمايونى المجمل الذى يودع خزنة القلعة

كان سبب تحرير هذا الكتاب، والتسطير صحيح النصاب، هو تحرير وبيان تلك المسائل جليلة الشأن، وهى أنه فى الحضور العالى لحضرة مدبر أمور الجمهور، باعث الوقار بسند لطفه، ومجلى كل قانون خفى، مشيد بنيان العدل، هادم أساس الظلم والفساد، حافظ معالم الإسلام، ناصر ضعاف الأيام، معين الرعايا، باسط العدالة، حامى حجاب الدين والدولة، ماحى آثار الظلم والبدعة، الوزير المكرم والدستور المحترم صاحب السعادة والدولة إبراهيم باشا، وفقه الله تعالى لما يرضاه ويشاء، عقد فى حضوره مجلس الشرع الشريف، شامخ العماد المحمدى، وطرح المحفل المنيف، رايح الأوباد الأحمدى، ملجأ ظلال الرايات السلطانية، ومرتقى أرائك الإمارات الخاقانية،

ومن الأمراء المصريين، أوزبك بك أمير الحاج ومقدم ركب الحجيج والبيت العتيق، ومحمد بك النوه لى مقدم جيش الأمراء، وحسن بك وقانصوه بك ومصطفى بك ويوسف بك هم من شغلوا منصب الدفتر دارية سابقا، ومن حكام إيالة جرجا السابقين؛ محمد بك وعلى بك ومحمد بك الجندى وعبد الله بك وعمر بك، ومن أغواث الفرق السبع محمد أغا رئيس الكوكلليه، ومصطفى أغا رئيس الجراكسة، ومصطفى أغا.

رئيس المستحفظان، وجعفر أغا رئيس العزب، وسليمان أغا كتخدا الجاويشية خدام الديوان المصرى المحصلين، ومصطفى أغا ترجمان الديوان العالى، ومحمد أغا رئيس المتفرقة،وجعفر أغا رئيس الجبجية وكتخداوات البلوكات السبعة ورؤساء جاويشياتها، ومن أرباب الأقلام المصرية إيواز بك دفتردار الخزينة المصرية، وعبد الرحمن أفندى الرونامجى، وأحمد أفندى نائبه الأول، وعلى أفندى نائبه الثانى، والمحاسب يوسف أفندى، ومن نوابه مصطفى أفندى وصالح أفندى، ومحمد أفندى المسئول عن مقاطعة الشرقية، ونوابه على أفندى ومحمد أفندى، وعن مقاطعة الغربية حسن أفندى ونائباه أحمد أفندى وابراهيم أفندى، وعن مقاطة المدينة محمد أفندى، ونائباه شعبان أفندى ومحمد أفندى، والمسئول عن مقاطعة إيراد الغلال مرتضى أفندى ونائباه مصطفى أفندى ومحمد أفندى، وعن مقاطعة مصرف الغلال رضوان أفندى، ونائباه فضلى أفندى وعثمان أفندى، وكاتب الجاويشية ( ) أفندى، وكاتب المتفرقة ( ) أفندى، وكاتب الحواله ( ) أفندى، وكاتب الانكشارية ( ) أفندى، وكاتب العزب ( ) أفندى، وكاتب الكوكلليه ( ) أفندى، وكاتب التفنكجية ( ) أفندى، وكاتب سباهية اليمين واليسار ( ) أفندى، وكاتب الجبجية رجب أفندى، وكات الأيتام ابراهيم أفندى، وعثمان أفندى الملقب كاتب الأرزاق، وكاتب إنكشارية سليمان أفندى الصغير، خلاصة القول إنه فى حضور جميع أرباب الديوان صغارا وكبارا، وسائر الأعيان، عندما عرض على هذا الوزير المكرم بتولى أمر إيالة مصر نادرة العصر من قبل السلطان وظل الله فى أرضه إجمال المدون والمصون والمصحح من الإيراد والمصروف

السنوى على الوجه المضبوط والمحفوظ بمفرداتـه فى الدفاتر والتى هى عبارة عن الحصيلة الداخلية رلى الخزينة من قلم الروزنامـة والمحاسبة وسائر المقاطعات ومن خراج الزراضى وسائـر الأقلام المتفـرقة، عنـدما أشرق علـى ديوان مصر الـعالى فـى أسعد السـاعات والأوقات، تبـين أن عدم كفايـة الأموال المحصلـة لنفقـات الإدارة المصرية، نـاشئ عن الاضطرايات فى زمن الوزراء السابقين، إلى تاريخ تصدر ديوان مصر العالى، لذا كانت النفقـات السنوية تزيـد على الإيرادات، مما أدى إلى نـقص الأموال المقرر إرسالـها إلى الآستانة، بمـقدار أربعمائة وأربعـين كيسا وسبعة عـشر ألفا ومائة وثلاثـون بارة فى كل عام، عن المبلغ المقرر ومقداره ألفا ومائتى كيس مصرى. كذلك نقص الذخائر السلطانية وغيرها من الـلوازم الضرورية المعتاد إرسالهـا إلى خزائن القصور العامـرة فى الآستانة، مقدار واحد وأربعين كيـسا وثلاثة وعشرين ألفا ومائة وخمسا وثـلاثين باره، بحيث لزم لإتمام الخزينة كل سنة مـبلغ أربعمائة وأربعة وثمانين كيسا مصـريا وخمسة آلاف ومائتين وثمان وثمانين بارة.

لذا عمد الوزير المذكور (اسبغ الله تعالى نعمه عليه) إلى إعمال صائب الفكر وضبط الأراضى المحلولـة والتى خلت من أربابهـا فى زمانه الآمن، وجمع الأموال الـضائعة، فلما غطت الأموال المتحصلة بالمصاريف الـلازمة فى زمنه السعيد، أرسل الباقى بموجب الدفاتر التى تم تحـريرها مجددا فى الأقلام بالتفـاصيل إلى الآستانة السعيـدة، مشفوعا بتخليص عـن أحوال البلد فصارت موضع نظر الـقبول السلطانى والالتفـات الهمايونى لحضرة السلطان ظل الله، كما أن الدفتر والتى رفـعت إلى العتبة السنية، جاءت مفرونة بالخط الشريف الهمايـونى، وجاء مضمونها المقرون بالسعادة على النـحو التالى «فليكن معلوما لديك ياوزيرنا أبو الخير إبراهيم باشا فى محافظة مصر نادرة العصر التى هى باب الحرمين الشريفين حينمـا يبلغك خطنا الشريف أنه قد ورد إلى عتبتنـا السنية دفتر خزينة مصر وكـتابها الخاص، فـألفينا الإيرادات والمـصروفات قد نظـمت وفقا لصـلاح الدين والدولة ونظام أحوال المملكة بشكل لائق ومناسب، إذ تم تصحيح ماكان يبدو فيها حتى تلـك اللحـظة من خـلل، وقد ألـقينـا نظرنا الـهمايـونى علـى الكشـوف الإجمالـية

والتخليصات، وقد حازت قبولنا المملوكى، أطال الله فى عمرك ومتعك بسعادة الدارين، وحلال عليك نعمنا السلطانية، وإذا قد عرضت على عتبتنا السنية، فإن الأمر يتطلب تنبيهاتنا الهمايونية فى بعض المواد، التى ضمناها رسالة التنبيه السلطانية التى ذكرها، وتنص على أنه اعتبارا من اليوم، لايجوز البدء بمنح مخصصات سنوية ومواجب أو بدل عليق أو فدادين محلولة من خزينة مصر المحروسة، مهما كانت قليلة، وإذا ورد أمر صادر من بابنا الهمايوني بمنحها، فينبغى عدم قيده فى السجل المخصص لذلك ويعرض على أعتابنا مع توضيح مخالفته للقانون.

وعند عزل وال من ولاة مصر، فيجب على أمير اللواء المعين فى منصب قائمقام من قبل الوالى الجديد، ودفتردار المال والروزنامجى والمقاطعة جى وسائر الكتاب الذين لهم صلة بشئون الخزينة وخدماتها أن يبادروا بمحاسبة ذلك الوالى المعزول بموجب السجلات على وجه الحق والعدل وألا يتدخل فى ذلك من لادخل لهم فى هذه القضية ولا علاقة لهم بشئون الخزينة.

ولايجوز إعطاء المحلولات التى تحدث فى أثناء تولى القائمقام نيابة عن الوالى، لأحد من الطالبين، ويجب حفظ الطلبات المقدمة من قبل إدارة الأيتام بإشغال تلك المحلولات وتوقيعها حتى يحضر الوالى الجديد. ولايؤجل مال الإيراد السنوى بالترك والإهمال بل يعجل بتحصيله بدون تأخير أو إمهال. إن كان هناك ما يقتضى التنزيل من الإيراد من مقاطعة أو قرية عاطلة - سواء أكانت قرية مال أو قرية غلال، فإن الباقى بعد التنزيل يبقى فى الخزانة ولاتنقص بعد ذلك من الإيرادات حبة ولا أقجه، ما لم يوجد مايقتضى ذلك أو يوجبه.

يجب على والى مصر ومعه الدفتردار والروزنامجى ومدير الحسابات، فتح دفاتر حسابات الخزينة وأنبار يوسف فى شهر توت من كل عام إخراج ما يخص الخزينة من الاجمالات الواردة بأمرى الهمايونى، والقيام بمراجعة إيرادات الخزينة ومصاريفها وإعادتها إلى أماكنها إن وجدت الإيرادات متعادلة مع النفقات، وإكمال الوالى ما فى الإيرادات من النقص بما يحصّل من المال من المحلولات، ثم قيده بمعرفة الدفتردار فى

السجلات كى يعلم ما بالخزانة من نقص وزيادة، ثم تسليم ذلك الإجمال إلى البك، أمين إرسالية مصر لتوصيله الآستانة وتسليمه إلينا مع الخزانة.

ينبغى أن تنفذ المواد المبنية على وجهه المشروح، وأن يعمل حكام الإيالة المصرية ومحكوموها بما فى أمرنا الصادر فى هذا الباب من الأحكام.

وأنت أيها الوزير، عليك أن تقوم بتنفيذ المواد المذكورة على هذا المنوال فى عهد حكومتك، وأن تتجنب العمل على خلاف ذلك مباشرة أو بالواسطة، ولأجل أن يكون هذا الفرمان دستور العمل مدى الدهر عليك بحفظه فى حصن خزينة مصر وإبقائه فيه. وذلك إخراجه كل سنة فى أول توت وإمعان النظر فيه عند عمل الإجمال من الحسابات، وفحص الإيرادات والمصاريف، حتى يمكن رفع الخلافات التى تكون قد ارتكبت فى أثناء السنة، حسب النصائع والتشبيهات الهمايونية الواردة فى فرماننا الهمايونى هذا. وحيث أنه قد صار فرماتنا الشريف الجارى بقضائنا السلطانى وأمرنا العالى الواجب الاتباع بتنفيذ كل ذلك بالدقة والاهتمام حسب ما سبق شرحه، حتى إذا طبق ما يحصله أرباب الأقلام من الأموال إلى ما دون من المفردات فى دفاتر الخزينة التى وضعت حديثا تبين أن بالأراضى الخراجية للقرى التابعة لقلم الشرقية ١٠٨٤ كيسا مصريا و١٢٣٩٤ بارة ومن الزراضى الخراجية للقرى التابعة لقلم الغربية ١٠٥٧ كيسا و٧٠٥٧ بارة. ومن الأراضي والقرى الخراجية التابعة لقلم الروزنامية ١٦٧ كيسا و ٩٥٣١ بارة، ومن الأراضى والقرى الخراجية التابعة لقلم مقاطعة إيراد الغلال ٢٦ كيسا و ١٧٧٢٠ بارة.

وخلاصة الكلام أن حاصلات أقلام مصر السبعة والسبعين الناتجة من الرسوم المفروضة على كل ما يطير فى السماء أو يسبح فى الماء أو يمشى على الأرض كلها أمانة، حيث تنطق دفاتر الروزنامجى بأن النفقات تبلغ ٢٦٥٢ كيسا مصريا و٥٠٤٣ باره، ومن هذا المبلغ ٥٦٤ كيسا و١٠٠٠٠ بارة من الكشوفية الكبيرة، و٥٤٧ كيسا و٩٠٦٥ باره من مقطوعية الثغر، و١٠٠ كيس و٥٥٤٨ بارة من أموال متفرقة متحصلة من قلم المحاسبة، و٤٠ كيسا من المال يقدمه والى مصر مقطوعا كل عام لتكملة الخزينة المطلوبة عن قرى الحلوان المحلولة، و٢٢ كيسا و١٥٠٧٠ بارة أموال متحصلة من القرى التى

أوقفتها الملكة شجرة الدر على كسوة الكعبة الشريفة، و٥٥ كيسا و١٢٥٠٠ بارة سنويا من المال الناتج عن خصم بارة من كل ٤١ بارة، المعتاد خصمها منذ القدم من عموم مصاريف ديوان مصر باسم التفاوت. وعندما بلغ مجموع الأموال التى يجرى تحصيلها فى زمانكم الشريف أيها الوزير المكرم اعتبارا من أول توت إلى آخره، من أراضى الخراج والكشوفيات وقرى الحلوان وعدد سبع من الموانئ وسائر المقاطعات والأموال المتفرقة وغيرها من الأقلام المذكورة ٣٩٨١ كيسه و٢٤٨٤٤ بارة، كانت المصاريف عن سنة كاملة اعتبارا من توت إلى آخره وهى المصاريف السنوية للأمراء المصرية ومواجب العساكر المنصورة وغيرها ٢١٤٢ كيسة و ٧٩٤ بارة، وبلغت المواجبات وأموال الحرمين الشريفين ٣٤٧ كيسة و ١٧٩٢٥ بارة. ومخرجات الإرسالية إلى العتبة العلية ٩٧ كيسة مال و ١٠٥٦٥ بارة، والمصروف السنوى فى ديوان مصر المحروسة المسمى باسم مخرجات المقاطعات الساير ١٧ كيسة و ٢٣٧٤ بارة سنويا، وعدد ٦٣ كيسة و ٥٧٢٨ بارة تسلم إلى كشاف الولايات لصيانة الجسور السلطانية ومهماتها وتجريف الترع فى ولاية مصر، والفدادين التى تصرف التى تصرف حسب ما كان معتادا قديما على الزوايا والأضرحة فى مصر، وعلى العلماء العظام والمشايخ الكرام، وعلماء ثغر الإسكندرية، وكذا مال مراعى الأمراء المصريين والجنود المنصورين وأموال جميع العلماء مبلغا قدره ١٨١ كيسا و ٥٠٠ بارة فى العام.

وبما أن أثمان ما يلزم شراؤه من الأشياء للجنود القائمين على خدمة الحجاج والكسوة وغيرهم ممن يرأسون الأعمال ويقومون بعا حسب الوارد فى دفاتر الروزنامة، هو مبلغ٣٣ كيسا و ٢٤٢٤ بارة، حيث يكون ذلك مع مجموع رواتب العلماء والأمراء وأثمان الخلع، مبلغا قدره ٢٧٨١ كيسا و ٢٤٨٤٤ بارة. ولما كان ما يرسل إلى الخزينة العامرة حسب المعتاد منذ عهد السلطان يبلغ ١٢٠٠ كيسا مصريا، فيكون المجموع الكلى ٣٩٨١ كيسا و ٢٤٨٤٤ بارة سنويا حسبما هو مقيد فى الدفاتر وبذلك صار الإيراد السنوى مساويا للمصروف السنوى.

ثم أن دفاتر الوزنامة والمقاطعات وأقلام المتفرقة تدل على أن الباشا الوزير حصَّل بفضل عنايته وسعيه من يوم توليه حتى تاريخ الكتاب، مبلغا للخزينة العامرة قدره ٣٣ كيسا و ٢٠٠٠٠ بارة زيادة على المبلغ الذى أرسله إلى الآستانة.

وحينما عرض الباشا الوالى هذا الأمر على الحاضرين فى المجلس طالبا آراءهم فيه، أفادوا بما يأتى: إنه حسبما هو مقيد فى السجلات، يبلغ مجموع ما ورد إلى الديوان المصرى من المال مبلغا قدره ٣٩٨١ كيسا و ٢٤٨٤٤ بارة فى العام، وأن المصاريف السنوية حسب ما ورد فى دفاتر الروزنامة وسائر الأقاليم، ومع ١٢٠٠ كيس من المال المعتاد إرساله إلى الآستانة يبلغ ٣٩٨١ كيسا و ٢٤٨٤٤ بارة، وعلى هذا يصير الإيراد السنوى معادلات للمصاريف السنوية.

وبعد اعتراف المذكورين وإقرارهم واقترانه بالأمر الهمايونى الكريم، واتخاذ الدفاتر المذكورة دستورا للعمل، بادر الدفتردار وسائر الموظفين إلى التعهد بأداء ما وقع من العجز والنقص من أموال الخزينة العامرة، وسائر الإيرادات والمصروفات في عهد القائمقامية، وقام الوزير المكرم الذى صار مظهرا لنص الآية الكريمة (قال اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم) بامتثال الأمر السلطانى وإطاعة ظل الله فى أرضه حسب قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم). وبما أنك أيها الوزير عليم بأن طاعة أولى الأمر وامتثال أوامر من يتولى أمور الدين والدولة، فرض وواجب، وأن مخالفة ذلك مخالفة للشرع، فعليك من الآن فصاعدا اجتناب التغيير والتبديل والتحريف والتأويل فى الأمور المذكورة، وإياك وعدم الانصياع لقبول فحوى الآية الكريم (فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم)، فى شأن صرف المرتبات والإنعامات الممنوحة من الأعتاب السلطانية السامية لفقراء الحرمين الشريفين والمشايخ الكبار... أموال مصر المحروسة التى هى مطبخ زراق الألم ومنبع معايش بنى آدم مدى الدهور والأمان، فإن تلك الرواتب والمخصصات صدقة لاتنقطع.

وبموجب الفرمان العالى والأمر السلطانى واتفاق آراء الوزير المكرم والأمراء الذين ورت أسماؤهم فى هذا الكتاب وسائر أمراء مصر المشهورين وأعيان الديوان وأغواته، قد أودعت دفتر إيرادات الأقلام المصرية ومصروفاتها مع هذا الكتاب برج الخزينة لكى تكون دستورا صالحا للعمل، يرجع رليه لدى الحاجة... (إلى أن قال باللغة العربية).

تحريرا فى اليوم الخامس من شهر شوال سنة ١٠٨٢ اثنين وثمانين وألف بعد الهجرة الأحمدية ﷺ.

صورة إمضاء مولى مصر أعنى حضرة أبو المال اسحق زادة أفندى الشهير. مافيه من تكميل خزانة المال وختمها بخاتم التصديق من عدول الرجال. وقع عنه العبد المنكسر البال، الفقير إلى ربه ذى الجلال، أبو الفلاح محمد الصالح بن اسحق القاضى بمصر المحروسة دامت دار الأمالى والأمان، عفى عنهما ربهما يوم الحساب والسؤال. تم هذا المكتوب فى شهر شوال.

فى بيان لهجة المصريين الخاصة

من المعلوم أن لأعيان وأشراف مصر اصطلاحات وعبارات مختلفة. ولكن أغلب أهل مصر من الشراكسة الهاشميين والأبخاز القرشيين، وقوم الصدشة والجورجيين والمكرل ودادیان، والاجقباش والروس، وأقوام أخرى لممالك مختلفة.

وشاء الله أن يأتى إلى مصر هؤلاء الذين سلف ذكرهم وتوافدوا عليها بعضهم إثر بعض. وقد بيعوا فى مصر كما بيع يوسف الصديق. وكل منهم آل إلى أسرة حاكمة. وتعلموا، ومنهم من تبوأ منزلة رفيعة وأصبح عزيز مصر. وبما أن مصر بلاد العرب ترك كل منهم لهجته الخاصة وتكلم العربية. ولكن بما أن لغة الأبخاز والشراكسة لغة صعبة كانت لهم اصطلاحات وعبارات تمتزج فيها العربية والتركية، ولكن عباراتهم واصطلاحاتهم هذه لا تستخدم فى ديار أخرى ولكنها تستخدم بين أهل مصر، لا يستخدمها سواهم من أهل البلاد الأخرى. إنها اصطلاحات خاصة بأهل مصر وهذا بيانها:

أولاً: (رغيف) بمعنى الخبز، و(حَدَ الله) يعنى الله الواحد، و (الله ستر ايده) بمعنى حفظ الله، (فطور ايده لم) بمعنى لنتناول طعام الفطور، و(بيورك غدوه ايده لم) بمعنى لنتناول طعام الغذاء. و(عشوه ايده لم) بمعنى لنتناول طعام العشاء، و(أبرار اولدى)

بمعنى صعد الآذان فى أول ليلة من ليالى رمضان. و(سلام أولدى) بمعنى أُذِّن للفجر. و(نيل وفا ايتدى) بمعنى فاض النيل على ما يرام. و(نيل وفا اتمدى) بمعنى لم يفض النيل. (غشيم) بمعنى ناقص التجربة. و(دويدار) بمعنى نائب أحد رؤساء الشرطة و(وجندى) بمعنى سيد. و(سجان) بمعنى السجّان، (موقع ديوان كاتبى عرفات) بمعنى عالم بقواعد الديوان، و(فرّاش) بمعنى كناس البيوت، و(زبّال) بمعنى كناس الشوارع، و(حمّار)، و(جمّال) بمعناهما فى العربية وكذلك (طباخ)، و(كاشف) بمعنى حاكم، و(والى) بمعنى رئيس الشرطة، و(حاجب) بمعنى بواب، و(قوّاس) بمعنى خادم يحمل القوس، و(مقدم) من يتقدم الحاكم فى سيره، و(نايب غيبه) من يرعى أمور الوافدين من الخارج، و(قلجدار) بمعنى من يحمل السيف ويمشى أمام الحكام، و(رُوشنبَا) بمعنى رئيس النواب. وهى صحيحة لغة. و(ركابدار) بمعنى يركب جواد الحاكم ويسير فى ركابه ويخدم فى سماطه، (استَدَار) بمعنى من يذوق طعام السلطان. (حاصِل باشى) بمعنى رئيس الطهاة، (حاصل) بمعنى مخزن الأطعمة. (مرشد) بمعنى حاكم القرية، (شيخ البلد) هو حاكم فلاحى القرية. (فلاح) بمعنى مزارع، (غفير) بمعنى حارس، (تَخْطِير) بمعنى نثر البذور، (عاطل) بمعنى قرية لا محصول لها. (شراقى) بمعنى قرية أرضها يابسة لا تروى، (راى اولمش) بمعنى قرية مروية. (كَفرِدن فائض كَلدى) بمعنى ورد مال من القرية. (شومنَه) بمعنى مخزن القمح (جرافا) هو الصندوق الذى تجره الثيران لجرف التراب. (نُورُج) هو نصال المحراث التى يدك بها القمح فى البيدر. (جُورُون) بمعنى بيدر القمح، (غِلال) بمعنى القمح والشعير والفول. (حِنطة) بمعنى القمح. (رِزْقه يَرى) الموضع الذى تلقى فيه البذور أى الحقل. (قمح) بمعناه فى العربية. (عَليق) الوجبة من الشعير. (جرايه) بمعنى وجبة القمح. (فدّان يرَى) بمعنى الأرض ذات الكلأ. (مُحتَكِر) بمعنى خازن السلع للغلاء يعنى القحط. (مُسبب) بمعنى مربح. (فُودْ ايتدى) بمعنى اتم وأنجز. (غَلْق ايتدى) بمعنى أغلق. (ارقِ خانه) بمعنى سجن المدنيين. (دَيلَم) السجن الخاص بقاضى العسكر (والى ديلمى) بمعنى سجن رئيس الشرطة. (شيال) بمعنى الحمال. (نشّال يان) بمعنى من يقطع الجيوب للنشل. (نصّاب) بمعنى

محتال. (مَمْلوك) بمعنى عبد. (مماليك) بمعنى حرس الحدود. (طواشى) بمعنى خادم القصر، (وكالة) بمعنى مكان مبيت الغرباء. (رَاب) بمعنى حجرات المتزوجين، (سُطوح) بمعنى سطح المنازل. (مواليس) بمعنى المنافق. (خورده) بمعنى إدارة الرسومات أى الجمرك. (غَيَاله) بمعنى القيلولة أى النوم فى وقت الظهيرة. (كحك) تعنى الكعك. (بُقصماط) بمعنى البقسماط. (قَراقِيش) بمعنى غريبة تصنع بالسمن. (مُطَبَّق) نوع من الرقاق يصنع بالسمن (بنى بهتيل ايتدى) بمعنى ضربنى ضربًا مبرحًا. (بنى وتَاه ايتدى) بمعنى جرحنى. (بن أوُوزْميم) بمعنى: أحتاج إليه. (يا حضرى) بمعنى يا مولاى السلطان. (يا نظرى) بمعنى يا عينى. (توت) بمعنى رأس السنة القبطية. (خماسين) بمعنى أيام القيظ الشديد فى مصر. (مُلاقه) ما بين قرية وأخرى. (لَمْلوم) بمعنى العاصى الذى كون له أتباعًا. (بُوغ ايتدى) بمعنى سلخ جلد أحد، وحشاه تبنًا وأرسله إلى ديوان (شرانى اتدر) بمعنى جواد جموح. (بَطْران اتدّر) بمعنى جواد كسلان أو بطىء (طرعه جرف ايتدى) بمعنى جرف الترعة. (قمين) بمعنى هطول البرد. (عمال) بمعنى عمال. (بنا) بمعنى بناء. (غَرامه) بمعنى ما يدفع تغريمًا أى غرامة، (شَرْمُوط) قطعة من شىء قديم. (مای بالى) بمعنى هكذا الأمر فلا تحزن. (ما له أوطور دى) بمعنى تعهد أن يسد دينه، ( )[1] من رجل إلى رجل. (بَرْطيل) بمعنى رشوة، (باشمزه شبكه اولدى) بمعنى بلاء لحق بنا. (استحالدر) بمعنى كوفئ. (كلفه وردى) بمعنى عين النفقة.

أوصاف العلماء السادات الكرام نقباء الأشراف

إن السيد برهان الدين الرومى هو سيد نقباء الأشراف. إنه من العرق الطاهر لسيد برهان الدين فى مدينة «اكردر» بإقليم حميد. وكم لأجداده الكرام من معجزات وكرامات ظاهرة وباطنة. وقد سكن مصر سبعين عامًا وهو صاحب أسرة غاية فى الكرم. ورحالة العرب والفرس والترك، والذين قدموا من الهند والسند وسمرقند وبخارى كانوا ينزلون ضيوفًا على داره أو شرفوا بصحبته والتحدث إليه. وأصابوا من

(١) بياض فى الأصل.

نعمه، ونالوا من الإحسان والإنعام. وقرر لهم أنواعًا من الخرقة يلبسونها. وكان منهم من يقيمون فى ضيافته العام والعامين دون أن يستثقل منهم ضيافته. وكان على الدوام يردد هذا المصراع من الشعر: «تعال إلى دار أمك دون كلفة».

وكان فى مجالسه على الدوام يبحث المسائل الشرعية والحقائق العلمية وكان له نواب عنه فى سبعين جهة. أما إيراده الذى كان يصله من شهر إلى شهر فكان ينفقه صدقة على أنه مرتبات عدا قضاء الخانقاه فكان له. وكان له مدرستان وسبع نظارات. كما كان له قرى تدر محصولاً وفيراً. وكان تحت رياسته فى مصر ستة وأربعون ألف من ذوى الحسب والنسب. وفى أيام الموكب كان يخرج لاستقبال الباشا هو وأتباعه ويرفعون علم رسول الله ﷺ وتحته عمائمهم الخضر وبذلك الطريق أشبه شىء بأرض مخضوضرة. ومن شعشعة النور المحمدى كان هذا العلم يتموج. وكان جميع السادات يمتطون جيادهم متحازين مراعين الأحكام المحمدية.

ولقد ذكرنا على وجه الإجمال طوائف جند مصر وعلماءها وأمناءها وإدارات الملتزمين والكشافين. ولكن سوف نتحدث عنهم فى موضعه على وجه أفضل.

سكن السلطان سليم عليه الرحمة والغفران مدينة مصر ودمياط ورشيد والإسكندرية تسعة أشهر بتمامها. وقد ذكرنا هذا آنفًا على ما ينبغى أن يكون. وتحدثنا عن الجند والعلماء والصلحاء وذلك طبق قانون السلطان سليم فى كل تفاصيله. وقد ضيف العلماء وكبار أولياء الله وأحسن إليهم، وشرف بدعائهم له وسمح لهم بالسفر إلى بلاد الترك، كما زار أضرحة الأولياء. وأمر بختم القرآن الكريم مائة مرة فى مشهد الإمام الحسين فى يوم واحد. وكان يطلب المدد من أرواح جميع الأنبياء والأولياء.

بعد تسعة أشهر خرج السلطان سليم من مدينة مصر إلى العادلية فى موكب عظيم وأولم وليمة عظيمة لجملة أعيان مصر فى الديوان، وجعل كمال باشا زاده على يمنته والوزير المكرم خيرة بك باشا على يسرته وأمر أن يقبل كل منهم الآخر، ثم قال: «لقد جعلتكما أخوين فى الدنيا والآخرة، وجعلتكما حاكمين على مصر وفوضت أمرها إلى الله. وملكتكما أنتما وأعيان مصر أمانة الله». وسلم كمال باشا زاده لأشراف وعلماء

مصر، وسلم خيرة بك لأعضاء الديوان وقرأ الفاتحة وفوض كل الأمور إلى خيرة بك.

وفى شهر المحرم من عام ٩٣٣ غادر مصر إلى الأستانة. وكان خيرة بك على نية الخروج معه إلى غزة فقال له السلطان سليم: يا وزيرى خيرة بك إذا كنت ترى فى مصر خيرًا فعد من العادلية. لمن تترك الديار المصرية التى فتحت حديثًا؟ افتح عينك ولطمه!. فعاد خيرة بك. وفى الطريق الذى سلكه السلطان سليم إلى الشام فرش خيرة بك الحرير تحت قدميه مرحلة بعد مرحلة وبذل المطعوم والمشروب وقدم الهدايا. وفى الوقت الذى وصل فيه سليم خان إلى الأستانة أصبح خيرة بك يتولى الحكم.

ولقد فرق خيرة بك ما عين السلطان من محافظين وكذلك كل ما فى مدينة مصر من جند الروملى والأناضول. وحتى لا تقع الفتنة ومن صالح مصر حشد جند الإسلام فى قلعة قره ميدان وطوابق القلعة الداخلية السبعة. فنعم الاستقرار والطمأنينة مصر. ولم يستطع أى شخص أن يتجاوز حده. وقد أقام خيرة بك العدل فى مصر وحكم بالحكمة والرأى الصواب. وتوثقت الألفة بينه وبين المصريين، وكانوا جميعًا يقولون: «الله ينصر السلطان خيرة بك». وحقيقة الأمر أنهم إذا سموا وزير مصر سلطانًا فلهذا وجهه وسببه ولكن شريطة أن يكون فعله عين قوله. وإذا ما عزل وزير مصر فى النهاية وخرج سالمًا فهذا هو الملك بتمام معناه. وسوف نذكر شروط مغادرة العمل بسلام فى موضعه بإذن الله.

وأقام خيرة بك جامعًا عظيمًا على الطريق العام عند باب الوزير. ولا يزال الآن قائمًا يسترعى النظر بجماله. ولقد وُزِّر خمس سنين وشهرين، وأدركته الوفاة فى عهد السلطان سليمان. وهو مدفون أمام محراب جامعه. وطبقًا للقانون نظارة الجامع لوزير مصر. وفى مصر الآن يبنى جميع وزراء آل عثمان جوامعًا تحت نظارتهم. وسوف نتحدث عن جميع مبراتهم ومؤسساتهم الخيرية فى موضعه بإذن الله.

* * *